مدينة قسنطينة في العهد العثماني
– الأصالة والتراث –

The City of Constantine in the Ottoman period
–Authenticity and Heritage –

د. بدرالدين شعباني
جامعة قسنطينة 2 . عبد الحميد مهري
badrchab@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 27 /2019/11 تاريخ القبول: 22 /2020/01

ملخص

تعد هذه الدراسة استقراء تاريخي وأثري لأصالة مدينة قسنطينة العتيقة في الفترة العثمانية، وهي عرض حال نبرز من خلاله مدى استجابة هذه المدينة للشروط الواجب توفرها عند إنشاء المدن الإسلامية، وذلك باستقراء شروط إقامة المدن المقررة في مصنفات المسلمين، ومدى توافقها مع تَوزُّع النسيج العمراني لهذه المدينة التاريخية والأثرية، ومن ثم القيام بتحديد مخطط المدينة وتعيين خططها، ومدى استجابتها لشروط العمران الإسلامي السائد خلال الفترة المخصصة بالدراسة.

الكلمات المفتاحية:الحومة–الرحبة–الزنقة–الزقاق– التربيعة– الدرب– القصبة.

Summary:

This study is a historical and archaeological extrapolation of the authenticity of the purebred Constantine city in the Ottoman period, And it's a case in which we show up the extent of this City's response to the duty conditions to be available when establishing the Islamic cities, By extrapolating the conditions for the establishment of cities prescribed in the Muslims workbook's, And extent of their compatibility with a distribution of urban fabric of this historical and archaeological city, Then doing the determine city's planning and designated its plans, And the extent of its response to the conditions of Islamic urbanism prevailing during the study period.

Keywords: The Quarter – The Square – The Dead-end – The Street – The Fondouk – The palace – The Kasba.

أولا. مقدمـــة

كان اهتمام الحكام المسلمين بالعمارة والعمران منذ النشأة الأولى للمدن الإسلامية وكانوا غالبا ما يشاركون بأنفسهم في اختيار مواضعها، ومتابعة عمليات إنشائها،كما كان للمدن المنشأة وظائف وأدوار جعلتها تختلف وتتنوع باختلاف هذه الوظائف والأدوار،تضاف لها ظروف النشأة، والمواقع والمواضع المختارة لها، وكل المؤثرات التي يمكن أن تساهم في نموها أو تطورها، وهو ما تناولته المصادر الإسلامية بإسهاب مستقصية كل صغيرة وكبيرة.

ومنذ العصر الوسيط أصبحت المدن تقوم في أساسها على مفهوم الوسطية في تحديد مواقع المؤسسات والهيئات الهامة بالمدينة، ومن ثم تمكينها من الإشراف على تسيير المدينة وفق القاعدة الفقهية: "لا ضرر ولا ضرار"، وبذلك تطورت أنماط مختلفة للمدن الإسلامية، وظهرت المدن ذات الهيكل الإشعاعي.

وتعد مدينة قسنطينة من بين أقدم مدن المغرب الأوسط التي تعاقبت عليها جل الحضارات السابقة في مراحلها التاريخية المختلفة، والتي ما زالت قائمة آهلة حتى اليوم، وقد حظيت هذه المدينة بالسيادة والريادة على الشرق الجزائري طيلة فترة الحكم العثماني للمنطقة بل كانت تعد أغنى مقاطعات الإيالة الجزائرية في الفترة العثمانية، فما العوامل التي جعلت هذه المدينة ترقى إلى هذه المرتبة؟ وهل توفرت مدينة قسنطينة على شروط إنشاء المدن الإسلامية؟ وما مدى استجابة عمران المدينة لشروط العمران الإسلامي؟ وما مفهوم الوسطية في العمران الإسلامي؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات تستدعينا أن نقوم أولاً باستعراض مختصر لشروط العمران الإسلامي كما نصت عليها مصادر الفقه والعمران،ومن ثم نقوم بالتطرق لمختلف المراحل التاريخية التي مرت بها

عملية إنشاء المدينة،ومحاولة إسقاط هذه الشروط على مظاهر الفضاء العمراني لمدينة قسنطينة.

كانت المفاهيم العمرانية المستنبطة بعضها من الدول والحضارات المجاورة أول الأمر، والمطبق بعضها الآخر لأحكام الشريعة بمعية الرسول الكريم ﷺ، قد ترسخت بتأسيس فقه العمران لدى المسلمين، ثم طورت هذه الأفكار في كنفه، وسنت قواعد ومفاهيم أصبحت راسخة عند الحديث عن المدينة الإسلامية خلال القرون الوسطى والعصر الحديث.

فقد أخضعت المدن المنشأة لعدة شروط أقرها علماء الفكر والعمران الإسلامي، ولعل أقدم مصادر العمران الإسلامي كتاب شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع(ت: 272 هـ/885 م)، والذي تصفه المصادر التاريخية بأنه صاحب حكمة وسياسة[1]،ويعد من أوائل الذين تعرضوا لسياسة إنشاء المدن في إطار ما يعرف بكتب السياسة الشرعية، حيث ألف كتابا أسماه: "سلوك المالك في تدبير الممالك"،كتبه وأهداه للخليفة المعتصم بالله العباسي (ت: 227 هـ/842 م). وقد حدد شروطا ستة تعد أساسية، وتجب مراعاتها في اختيار مواقع المدينة هي:

- (إحداها) سعة المياه المستعذبة
- (الثاني) إمكان الميرة المستمدَّة.
- (الثالث) اعتدال المكان وجودة الهواء
- (الرابع) القرب من المرعى والاحتطاب
- (الخامس) تحصين منازلها من الأعداء والذُّعَّار.
- (السادس) أن يحيط بها سواد يعين أهلها [2].

ويعدُّ الشرط الثاني والخامس والسادس محور تطور الفكر العمراني لدى المفكرين والعلماء المسلمين، ذلك أن الشرط الثاني متعلق بالأمن الغذائي بمفهومنا اليوم، ويتعلق الشرط الخامس والسادس بأمن البلد، سواء ما

تعلق بأمن المدينة من أصحاب السوابق الذين يذعرون الناس ويخوفونهم أو العدو خلف الثغور، أما السواد الذي يعين أهلها فالمقصود به الأراضي الزراعية، والقرى المأهولة المحيطة بالمدينة بغرض تحقيق الأمان، ذلك أن تحقيق الأمن والأمان في المدن، يعد من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ - البقرة 126-، فقد سبقت الدعوة بالأمن الدعوة بالرزق، ثم أن هذا وذاك كلاهما يؤدي بالمؤمن إلى العبادة، بينما الكافر يتمتع برزق الله قليلا ثم يضطره إلى عذاب النار وبئس المصير[3].

وتواصل هذا التطور الفكري معتمدا النهج الجديد وأصبح مجالا يتنافس فيه العلماء والفقهاء على حد سواء، ونشأ فقه العمران لتنشأ معه أحكام البنيان، وهي مجموع الأنظمة والقوانين التي تحكم أعمال التصميم المعماري وأعمال البناء، وبها يتم تحقيق متطلبات التصميم البيئية كحقوق الارتفاق، والاجتماعية كالأمان، والخصوصية، والوقائية، والنفسية كمنع ضرر الضوضاء والرائحة والدخان، وقد شمل مجال هذه الأحكام جميع متطلبات التصميم، ووفر حلولا مناسبة لمتطلبات الحياة اليومية ومشاكل الجوار[4].

ثم سار على هذا النهج في الكتابة من تبعهم من العلماء والفقهاء والمفكرين الذين عنوا بالتأليف في مجال فقه العمران منهم الماوردي (ت: 450هـ/ 1058م)، الذي ألف عدة تآليف خصت مجالات مختلفة، حيث نقلتنا مؤلفاته نقلة نوعية إلى مرحلة جديدة متقدمة في التخطيط الحضري، بعد أن صنف المدن، وميز بينها بحسب وظائفها، وفرق بين عمارة البلدان وعمارة الأمصار فقال:"وأما الأمصار فهي الأوطان الجامعة،والمقصود بها خمسة أمور:

أحدها: أن يستوطنها أهلها طلبا للسكون والدعة.

والثاني: حفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة.

والثالث: صيانة الحريم والحرم من انتهاك ومذلة.

والرابع: إلتماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة.

والخامس: التعرض للكسب وطلب المادة " [5].

وقد بلغ العمران الإسلامي أوج تطوره بظهور مفاهيم أكثر تبلورا خلال المراحل التالية، وبخاصة ما تعلق بشروط تحصين المدينة، وكان يقود هذا الاتجاه الجديد علامة عصره ورائد علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون(ت 660 هـ/1262م)،الذي تركزت نظريته في دفع المضار وجلب المنافع فقال:"أما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار،وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل،وإما باستدارة بحر أو نهر بها،حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها[6]".

وبمرور الوقت تبلورت هذه المفاهيم العمرانية، وتطورت بعد أن نضج فكر العمران الإسلامي، وبلغ أوجه في تنظيم وتسيير المدينة، ويشهد على ذلك ما جاء في كتاب: " تاريخ المدينة " للمعماري الإيطالي ليوناردو بنيفولو (Leonardo Benevolo) حيث يقول: " حينما كانت الحضارة والبيئة تتشكل في القرون الوسطى بأوروبا، كانت الحضارة الإسلامية في عالم البحر الأبيض المتوسط في أوج تطورها " [7].

وآخر ما نختم به هذه الإطلالة السريعة على شروط إنشاء المدن ما ورد عند ابن أبى زرع (ت:741هـ/ 1340م) في كتابه: "روض القرطاس" حيث ذكر ما يلي: ".. وقالت العلماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي: النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان، إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها [8]".

وفي الفترة العثمانية بالجزائر مثلت مدينة قسنطينة المدينة الجامعة لكل هذه المزايا والصفات، لتوفرها على الشروط المناسبة كالمياه العذبة من حولها، وإمكانية الميرة المستمدة واعتدال المكان وجودة الهواء، كما أن المدينة كانت تستجيب لشروط التحصين التي عرفتها المرحلة المتأخرة من تطور الفكر العمراني، باعتبار أن المدينة تقع في موقع ممتنع من الأمكنة على هضبة متوعرة من وادي الرمال تعرف تاريخيا بعش النسر [9].

كما أنه لا يمكن الوصول إليها إلا بعد العبور، مما زاد في منعتها الطبيعية حتى أصبحت تعرف بمدينة الهواء لكثرة القناطر الموصلة إليها كونها محاطة بالفراغ من معظم جهاتها، ولا أدل على ذلك أكثر من مقولة حمودة باي لوزيره الكاهية سليمان حينما أراد اقتحام مدينة قسنطينة: " بَارِكوا يا أهالي قسنطينة ذكرى أسلافكم اللذين شيدوا المدينة على قمة ممتنعة: في كل المناطق تحوم الغربان فوق رؤوس الناس، وتحلقون هنا فوق الغربان [10]".

إن هذا التميز جعل السلطات الحكومية الماسكة بزمام الأمور في المنطقة، والمتعاقبة منذ أقدم العصور، والفترات التاريخية المختلفة لا يمكنها أن تهمل مثل هذا الموقع الحصين والملجأ الطبيعي، كما أن شكل المدينة المطابق لشكل الرصيف المنتصبة فوقه، جعل الوصول إلى المدينة لا يتم إلا من جانب واحد هو الواجهة الشمالية الغربية، وهذا المنطق اتخذه أبي عبد الله الشيعي عند إنشائه مدينة المهدية بتونس حيث عوض الفراغ الهوائي بالماء الذي يحيط بكل جوانب المدينة سوى من جهة واحدة هي مدخلها المحصن بباب ضخم ومتين.

قسنطينة بين سنتي1838 - 1840

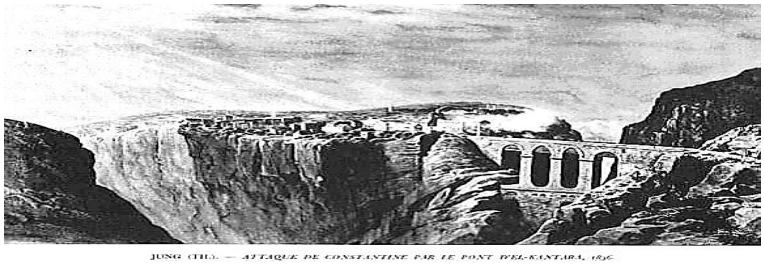

قسنطينـة في العهد الروماني

قسنطينة عش النسر

وكانت أعلى نقطة بالصخرة الطرف الشمالي الشرقي حيث أنشئ القصر مقر السلطة في العصر القديم، وهناك أقيمت منذ العصر الوسيط القلعة أو القصبة، وعند زيارة الإدريسي للمدينة منتصف القرن 12م لم يشر إلى وجود القصر الذي خرب في معظم أجزائه [11]، وعوض بالقصبة التي بنيت خلال فترة الهيمنة الموحدية، كما هو الشأن بالنسبة للمدن الأخرى.

والقصبة تعني في عرف الفكر الإسلامي المدينة الحكومية الصغيرة الملاصقة للمدينة الكبيرة، والتي تفصلها عنها الأسوار المشتملة على باب واحد مما يسمح لها عند احتلال المدينة بالصمود أطول مدة ممكنة من الزمن في وجه أي حصار حتى وصول النجدة، وقد كان للقصبة طرقها الخاصة، وجامع خطبتها الذي وسعه الأمير أبي زكرياء وجدد بناءه، وقد كان الولاة يؤدون فيه صلاة الجمعة، وكان الاستثناء حين اضطر أحد الأمراء الحفصيين إلى أداء صلاة الجمعة أول مرة خارج أسوار القصبة بالجامع الأعظم للمدينة سنة 749هـ/ 1348م، وبحسب مرسي سورت القصبة بالشكل الذي نراه اليوم في الفترة الفرنسية.

وتتوفر مدينة قسنطينة على شروط الميرة المستمدة من متطلبات الأمن الغذائي كالأراضي الزراعية، والقرى المأهولة التي تحيط بالمدينة بل إن التكامل الحاصل بين سكان المدينة والضواحي حتى البعيدة منها، جعل المنطقة تعرف رحلة الشتاء والصيف بين سكان المدينة وسكان الأرياف، ذلك أن أعيان البلدة كانوا يقومون بالرحلة صيفا نحوا الضواحي هروبا من حر الصيف وطلبا للراحة.

في حين يلتجئ شتاءً سكان الأرياف والبوادي الذين يمتهنون حرفة الرعي لدي أعيان مدينة قسنطينة إلى المدينة طلبا للدفء وهروبا من قسوة البرد، مما ولد صلات قرابة، وتكافلا اجتماعيا استمر حتى الفترة الاستعمارية حيث وصفه لابين (Lapaine) 1842 – 1846م كما يلي:" إن ما يميز بالخصوص أهالي

قسنطينة عن مدن الساحل هو أن بين هؤلاء وسكان البادية تجانس أكبر وانسجام في العادات والأخلاق، فالحضري لا يختلف عن عرب البادية إلا كما يختلف السكان الحضر بالجزائر العاصمة عن عرب متيجة أو سفح الأطلس. فهناك تحالفات يومية تجري في الداخل والخارج بالتناوب حيث أن معظم سكان المدينة هم من الملاكين أو المزارعين في المداشر البعيدة أين يقضون أشهرا بكاملها لحراسة أشغال الفلاحة، وفي الشتاء يأتي البرانيون والفلاحون في عدد كبير يبحثون عن مساكن واقية تحميهم من الأمطار والثلوج التي تجعل السكن في الخيام صعبًا [12]".

وفي العهد العثماني استفادت المدينة بموقعها من الميزات التجارية البرية والبحرية كونها مصنفة جغرافيا ضمن المدن ذات الميناءين لاستفادتها من الموانئ البحرية التابعة لها إداريا، وبخاصة عنابة، والقل، وستورة، والقالة، وكميناء بري للقوافل القادمة من المشرق نحو المغرب، واستقطابها لتجارة بلاد السودان، وهذه الميزة جعلت المدينة الواقعة على ملتقى الطرق البرية والبحرية تحظى بتجارة رائجة ضمنت لها الديمومة والميرة المستمدة، مما جعلها مركزا للتبادل التجاري والنشاط الحرفي، وهو ما أهلها لتصبح أكبر مقاطعات الإيالة اتساعا وأغناها لما كانت تقدمه من دنوش سنوية.

ولا جرم أن بلوغ هذه المرتبة منوط بالسلطان، إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها، فبحسب الدراسات الغربية كانت قسنطينة على العهد الحفصي، وطيلة القرنين 16-17م بلدة صغيرة لا تمثل سوى:" دور مشيدة بصورة غير لائقة .. وشوارع ضيقة وغير منتظمة، تنقصها النظافة شتاءً أرضيتها غير مبلطة، ولا توجد بها أية بناية تستحق أدنى اهتمام "، واستمرت على هذه الحال حتى سنة 1725م [13].

وخلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط أصبحت قسنطينة إحدى المدن الحفصية الرئيسية القادرة على منافسة بجاية للسيطرة على الإقليم

الغربي من الدولة، وقد كانت تثور أحيانا ضد سلطان تونس أو بجاية، بل انطلق ذات مرة أحد الحفصيين من قسنطينة التي كان يشرف على حظوظها وأعاد من جديد بغزواته وحدة إفريقية المنفصم عراها.

وبحلول القرن 18م توالى على قسنطينة حكام مميزون مؤهلين إداريا انفردوا بأعمالهم الحيوية فتركوا بصماتهم السلطانية من خلال إنجازاتهم المعمارية المميزة وتنظيماتهم الإدارية بالمدينة، وسرعان ما تحول حال المدينة التي عرفت وجها جديدا صاحبه استقرار سياسي كبير طوال الفترة العثمانية.

واشتهر من هؤلاء البايات خمسة هم على التوالي:

- حسن باي بوكمية حكم 1713- 1736م فرض سيطرته على المقاطعة، وساهم بقوة في إنجاح الغزوة التي جعلت علي باشا حاكما على تونس.

- حسن بوحنك 1736 – 1754م كان إداريا جيدا استفادت منه الحكومة بصورة خاصة في تزيين المدينة وتنميق نسقها وهي المهمة التي أوكلت إليه.

-حسين باي ازرق عينو حكم سنتين فقط1754– 1756مومع ذلك وجد الوقت الكافي لفتح تونس سنة1756م،والتحسين من المشهد البصري لمدينة قسنطينة.

- أحمد باي القلي 1756 – 1771م قادة حملات ناجحة في الأوراس والقبائل وعمل أيضا على تجميل المشهد البصري للمدينة.

- صالح باي1771–1792مومعه اكتمل العهد عمليا لتاريخ مدينة قسنطينة فقد كان مميزا بين كل حكام قسنطينة حيث عرف كيف يفرض سيطرته على المناطق الداخلية فدخلت جميعها في حوزته، وبمشاركته المظفرة ضد الغزو الإسباني لمدينة الجزائر سنة 1775م، وبمنجزاته المعمارية، فبنى جامع سيدي الكتاني وديارة بالشارع، وغرس البساتين المعتبرة، وبنى القنطرة، وجلب لها المهندسين من بلد النصارى وأنفق عليها أموالا عظيمة، وعمر الوطن وسعدت الناس في دولته [14]، ورغم أن شوارع المدينة في مرحلته كانت

ضيقة إلا أن ديارها كانت حسنة البناء سقوفها من القرميد، وأغلب أنهجها مفروش بالحجارة [15].

وخلال الحكم المتعاقب لهؤلاء البايات الخمس 1713 – 1792م عرفت مدينة قسنطينة التأسيس الفعلي لأهم منشآتها المعمارية، وانتظمت شوارعها وتناسقت أحياؤها، واكتملت مكونات صورتها البصرية، حتى أنه لما حل موفد الباب العالي **كامل باي** بالمدينة شهر ماي من سنة 1836م قام بزيارته التفقدية في أرجاء المدينة، ودون في تقريره للباب العالي ما يلي: ".. إن قسنطينة مدينة كبيرة عدد منازلها 7 آلاف منزل بنيت بالحجارة، وهي شبيهة بالقلاع يتجاوز عدد سكانها 80 ألف نسمة، تحتل موقعا مرتفعا، وتجري المياه في الوديان المحيطة بها.. [16]".

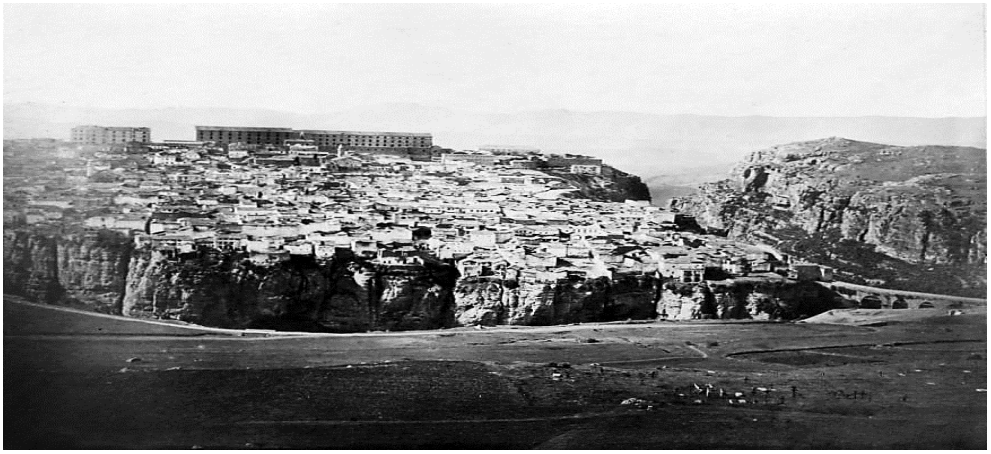

مدينة قسنطينة سنة 1856

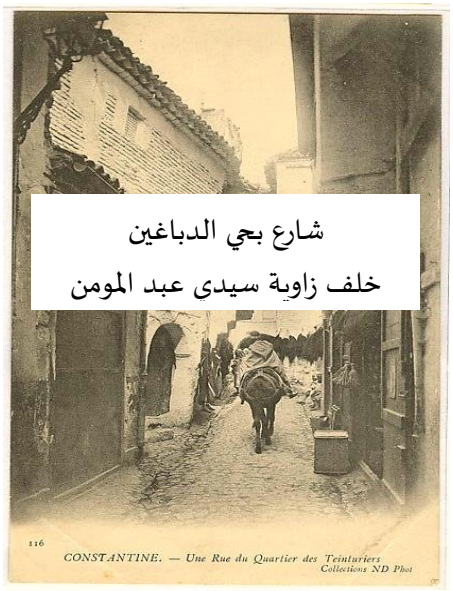

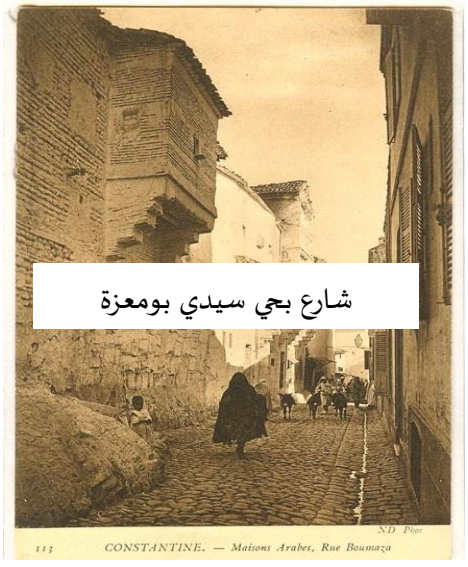

ثانيا - الوسطية في مفهوم العمران الإسلامي

تعد الوسطية من بين المفاهيم التي قامت عليها حضارات الأمم السابقة، والتي نجدها تتكرر بتشابه كبير في عمران المدينة الإسلامية، غير أن الوسطية في المفهوم العمراني لدول القرون الوسطى وأوروبا حتى مطلع العصر الحديث كانت تعني الهيمنة والسيطرة، لذلك احتلت المعابد موقعا جغرافيا وسطا

على هضبة مرتفعة في مدنها لتتمكن من ممارسة عملية الإشراف، والسيطرة على المدينة موحية بذلك للرعية بالسيادة والسلطان في حين تبقى الوسطية في المفهوم الإسلامي مختلفة في جوهرها ومضمونها عن غيرها من المفاهيم كما يمكن أن تفسر على عدة مستويات:

فعلى الصعيد الاجتماعي تقوم الوسطية على مبدأ تقريب المصلين من المسجد الجامع، إذ من القواعد العامة لعمران المدن الإسلامية أن يبنى في وسطها جامعا للصلاة، ليقرب على جميع أهلها [17]. وبذلك فهي تعمل على أنسنة العمارة من خلال إحساس الإنسان ببيئته وشعوره الشخصي تجاه المدينة التي يقطنها فهي تفاعل مستمر بينه وبين المكان المتمثل في المسجد، وهذا التفاعل مبني على الإحساس الداخلي بالبيئة المحيطة التي يتجسد من خلالها تأويله الذهني وتفسيره للعلاقات البيئية.

فالمؤثرات البيئية كالمحيط الطبيعي، والمحيط الفكري والعقائدي، والمحيط العمراني، تؤلف عملية الإدراك الذكي لهذا المحيط، وبتفاعل البيئة الفكرية والبيئة الطبيعية تتكون البيئة العمرانية، وعليه يرتبط التخطيط الاجتماعي-المكاني بالرؤيا المستقبلية لكيفية تشكيل الحيز المكاني المرتبط بالعمارة والبعد الثقافي والاجتماعي والبعد التاريخي.

لذا فإن الوسطية لا تقتضي أن يقام المسجد الجامع في الوسط الجغرافي للمدينة بقدر ما يقتضي أن يكون وسط التجمعات السكانية أو قرب سكنى العامة، فقد كان الهدف من اختيار الموضع المتوسط لإنشاء المسجد الجامع في المدينة الإسلامية تسهيلا له لتأدية الوظائف المنوطة به، وليكون بمثابة القلب النابض القريب من كل أطراف المدينة ليسهل على المصلين التوجه إليه، سواء أكانوا من أهل المدينة أم من المناطق المجاورة لها كون هذه الأخيرة لا تقام فيها خطبة الجمعة، ويؤكد ذلك على أن الوسطية لم تكن شرطا لازما في التخطيط بقدر ما هي مرتبطة بالقرب من مناطق سكنى العامة.

ولا أدل على ذلك من وجود بعض النماذج من المدن التي لم ينشأ مسجدها الجامع في الوسط كسامراء التي أنشئ مسجدها الجامع في القطاع الشمالي من المدينة قريبا من سكنى العامة والأسواق، بينما خصص القطاعان الأوسط والجنوبي لخطط القواد والأجناد، وكذلك أنشئ «الجامع الأزهر» في القاهرة قريبا من مناطق "سكنى العامة" في قطاعها الجنوبي [18]، وهو ما يؤكد أن وسطية المسجد في العمران الإسلامي لا تحتل بالضرورة الوسط الجغرافي للمدينة بقدر ما تكون وسط التجمعات السكانية.

فالتفاعل بين الانسان والمكان يعني القدرة على أنسنة الفضاء الذي يحتويه بكل ما يتضمنه من معان ودلالات، فدلالة التشكيل تعني دلالة فهم واستيعاب الحياة بما لها من متطلبات أساسية، وحاجات إنسانية، وتطلعات مستقبلية فالحيز المكاني لا يقتصر على الخصائص الفيزيائية البصرية فقط، وإنما يتعداها إلى الهوية التي تمنح الإحساس بحيوية الحيز المكاني، وتحقق المنفعة مع المحافظة على الخصوصية، وهو ما يسهل الوظائف الاجتماعية والاقتصادية المنوطة بالمسجد داخل المدن الإسلامية.

وتتجسد هذه الظاهرة العمرانية في مدينة قسنطينة بجامعها الكبير (530هـ/1163م)المؤسس منذ الدولة الحمادية، والممثلِ للمشهد البصري الذي يحدد خصائص الهوية العمرانية الأصيلة للمدينة بما يحمله من دلالات وقيم روحية صدرت عنها جميع أجزاء المدينة المؤلفة منه كنواةٍ أصيلة وأصلية، ورغم مجاورة المسجد الحنفي له – جامع سوق الغزل – في العهد العثماني، إلا أنه بقي دائما يمثل قطب المدينة الذي يستقطب من حوله الأسواق والأحياء السكنية والأسوار.

وبرغم المظهر الفيزيائي للمسجد الجامع بحكم حجمه وشكله المعماري المميز فإن المضمون الوظيفي بقي نفسه، فهو مكان العبادة والتجمع وبه تقام

حلقات التدريس، بينما توفر الأسواق إمكانية المعاملات والمبادلات التجارية، وفيها تتركز الحياة الحضرية.

ثالثا. التخصص والخصوصية في مدينة قسنطينة

التخصص والخصوصية ظاهرتان ميزت المشهد البصري للمدينة الإسلامية، وإذا كان التخصص يعني تركز مجموعة من التجارات أو الحرف في موضع واحد، فإن الخصوصية تعني الاختراق البصري وكشف الحرمات، وقد صنفها فقهاء العمران الإسلامي في إطار الضرر الذي يمكن أن يلحق بالساكنة؛ لذا فالسوق مرتبط دائما بمسجد المدينة وتحت إشرافه، كما رتبت أنشطته ونظمت بتركيز عال وفق تخصصات دقيقة في إطار النقابات الحرفية، مما جعل المناطق غير الآهلة معزولة تماما عن الأحياء السكنية.

وتجسد مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية الكثير من هذه الظواهر والمظاهر العمرانية ذلك أن الأسواق بما فيها من محال تجارية، تمثل أقصى درجات الضرر من حيث الخصوصية، لأنها تمثل مركز خدمة عامة يتجه إليه جميع الناس، ومواجهة المحلات التجارية لأي منزل يعرض أهلها لعيون المتعاملين مع هذه المحلات والعاملين فيها بصفة مستمرة، وتجنبا للتعرض للكشف، قامت الأسواق على طول الشوارع المتسعة، دون الشوارع الفرعية الضيقة، لما توفره من تأمين للنساء أثناء وجودهن في الأسواق، على هيئة كتلة معمارية تضم مجموعة من الحوانيت ظهورها إلى الداخل، وتطل جميعها على الشوارع التي تحيط بها، مقابلة أيضا صفوفا من الحوانيت الأخرى لهذه الشوارع، لذا فهو مرتبط بالشوارع النافذة حيث صنفت حوانيته تصنيفا تجاريا يمنع الضرر، ويمكن من مراقبة الأسواق ويسهل على المشتري الوصول إلى حاجته، ويدفع إلى التنافس.

بينما تكثفت الحوانيت في المناطق التجارية والأسواق الموازية والمحيطة بالشارع الأعظم وتفرعاته الجانبية،مكونة منطقة تجارية متكاملة ميزتها

الحوانيت المطلة على ساحة مكشوفة في الوسط وظهرها إلى الخارج وتعلو هذه الحوانيت وحدات سكنية تشكلت منها الفنادق والتربيعات والعرصات،والحوانيت والسويقات،والرحاب وهي نماذج تكررت في مختلف المدن الإسلامية.

وهذا التصميم يحقق مبدأ الخصوصية للسكان في المناطق المحيطة بالأسواق،ويساعد على تجنب التعرض للكشف[19]،فقد احتل كل من سوق التجار والسوق الكبير،وسوق الغزل وسط المدينة بالقرب من دار أحمد باي، والجامع الكبير المالكي،وجامع سوق الغزل الحنفي، وخص كل حي بمنطقة اقتصادية سوق أو سويقة بجوارها مسجدها الخاص كمركز حيوي،وحتى القصبة والأسواق عند المداخل لم تشرد عن هذه القاعدة،وإن غابت معالمها اليوم بعد أن هدمت فرنسا مسجد القصبة، ومسجد سيدي بوشداد الذي كان قرب باب الجابية أثناء التغييرات التي أجرتها على المدينة [20]،أو أنها حولت وظائفها إلى مهام أخرى كمسجد سيدي جليس الذي حول إلى المدرسة العربية الفرنسية.

أما على الصعيد التجاري والحرفي فقد اعتمدت في توزيع النشاطات الحيوية بالمدينة القاعدة الفقهية: "لا ضرر ولا ضرار"، وقامت عليها أحكام لا حصر لها أثرت بصورة مباشرة على حركة العمران والمشهد البصري لمدينة قسنطينة،وعلى إيجاد بيئة مستقرة للمدينة تقوم على مبدأ الاحترام للجار وحسن الجوار.

فقد وزعت الحرف والصناعات وفق ترتيبات سابقة تجعل المنشآت الصناعية والتجارية،المتسببة في حدوث الدخان أو الروائح الكريهة أو الصوت المزعج،والتي تمثل ضررا واضحا إذا زادت حدتها تبتعد عن المنطقة السكانية

المشهد البصري للجامع الكبير بمدينة قسنطينة سنة 1890 بعد التدخل في نمطه المعماري بإعادة تشكيل واجهته وحذف الصحن المكشوف التابع له لغرض شق الطريق الوطني – شارع بن مهيدي

باعتبار أن الإنسان هو المقياس،فيراعى عند إنشاء مثل هذه المؤسسات والورشات،أن يختار لها مواضع يمكن معها تجنب ما ينشأ عنها من أضرار،فكانت الأقل ضررا تحتل وسط المدينة ووزعت الحرف المسببة للضرر أو الضجيج في المناطق المعزولة على أطراف المدينة أو خارج الأسوار[21].

ولما كان الجامع يتوسط المدينة، فقد عد قلبها النابض بالحياة لقيامة بتأطير الجماعات المهنية والحرفية وتسيير فضاءاتها الحيوية والرحبات، ذلك أن جل النشاطات الاقتصادية كانت تدور حوله أو في فلكه، كما سهل على الإدارة ممثلة في الحسبة عملية الإشراف والتوجيه لمختلف الجماعات المهنية والتجارية للطوائف الدينية والعرقية داخل المدينة من خلال شيخ البلد ونقيب الأشراف وأمناء الحرف.فقد نضدت بحكمة حول الجامع الكبير التجارات الرفيعة والأقل ضررا كالوراقين(باعة الكتب)، والرقاقين(بائعي الرق)،وبائعي العطور والروائح،والصاغة، والطرازين، وبدرجة أقل النساجين والبلاغجية، والسراجين، وكلما ابتعدنا عن الجامع الكبير كلما تدنت التجارات واقتصرت على صناعة وبيع مواد الاستعمال اليومي.

أما من حيث التنظيم الوظيفي، فكانت الحومات الصغيرة مثلها مثل الأحياء الكبيرة تحوي المرافق العامة الأساسية لتلك الفترة، ولكل حومة مصلى أو عدة مصليات كمراكز حيوية حتى لا يضطر السكان للذهاب إلى الجامع الكبير الذي يعد القلب النابض للمدينة، وتشتمل كذلك على تجارات صغيرة تلبي طلبات سكان الحي من كوشة خبز، وفحام، وحمام، وحلاق، وغيرهم من المرافق العامة.

وقد اقتسمت سكان مدينة قسنطينة صناعتين رئيسيتين تقريبا هما: صناعة المصنوعات الجلدية، وصناعة المنسوجات الصوفية؛ وكانت الصناعة الأولى تكتنف ثلاث نقابات:

-الدباغين: كان عدد موظفيها150عامل موزعين على33 ورشة لدباغة الجلود، حيث تنقل كل يوم الجلود الجاهزة إلى سوق وسط المدينة قرب الجامع الكبير.

-السراجين:كان عدد موظفيها210عامل موزعين على75حانوتا لصناعة السروج.

- الخرازين: كان عدد موظفيها480عامل موزعين على167حانوتا لصناعة وإصلاح الأحذية.

أما الصناعة الثانية فتعد أهم من الأولى لتعلقها بالعادات المحلية والوطنية، ولأنها تشغل عددا أكبر من السواعد الحرفية، وهي تتألف من أربعة أنواع من المنتجات ممثلة في:

-الحياكة (الحواكة):عدد موظفيها195عاملا يمتهنون الحرفة في بيوت معزولة تعرف بتربيعات الحواكة، وهي عبارة عن تجمع لستة (6) ورشات للنسيج تشغل بين 5 - 8 عمال، وأحيانا يصل عدد موظفيها إلى 12 عاملا.

وكانت صناعة البرانيس وصناعة القنادر صناعات عائلية تقام في البيوت وبصورة أقل منها كانت تمارس صناعة التلاليس والزرابي لقلة منتجاتها[22]وقد وصل عدد النقابات الحرفية بمدينة قسنطينة حوالي خمسة وأربعين نقابة.

ويعكس التشكيل البصري للمدينة الوظيفة الخاصة بالتجمع العمراني من خلال إبراز الهيكل العمراني وشخصية المكان والطابع المميز له، فالمكان يمثل الوحدة التعبيرية من خلال العمق المتعلق بخصوصية الانتماء المكاني (الهوية والانتماء)، والمساحة التي يشغلها المكان (أو الفراغ)، ثم يأتي الحدث المتعلق بنوعية النشاط الممارس في هذا الحيز لأن النشاطات المختلفة لا تكتسب معنى إلا بعلاقتها بأماكن معينة، وهي ملونة بخصيصة المكان، فالمكان دون سواه يثير الإحساس بالمواطنة، وإحساسا آخر بالزمن، وبالمحلية، فهو بؤرة تمارس فيها الأحداث ذات المعنى لوجودنا، وما الفعل المعماري إلا تشكيل للمكان ضمن موضع فراغي تضاف له بقية الأبعاد الزمانية والوظيفة المؤثرة في صياغة ذلك الفعل [23].

وقد خصصت منطقة وسط المدينة كمكان خاص بالنشاط التجاري دون السكني، ونلج هذه المنطقة إنطلاقا من باب الوادي بموقع ساحة لابراش

(ح5) [24]، وإذا ما اتجهنا شمالا نجد سوق العطارين، فسوق الموقف (ز5)، والسراجين (5 - 4)، والخراطين (نحو ز4)، ثم انطلاقا من الرحبة الصغيرة المواجهة لباب الجامع الكبير، وعلى طول أقصى شارع غربي نجد الصباغين (و4)، ثم نصل إلى راس الخرازين [مصلحي الأحذية] (و4) أين كانت تتواجد زاوية عائلة بن الفقون شيخ الإسلام، وعلى الطريق المتاخمة لها، نجد الشبارلية [صناع أحذية النساء](هـ5)،والصاغة(و4)، فسوق الغزل(و5)؛ وإذا ما استأنفنا طريقنا نصل إلى سوق الخلق(و4)، فالحدادين(هـ4)، والقزازين (هـ 5 - 4)، والعطارين (هـ5)، وينتهي بنا المطاف عند السوق الكبير (هـ4).

وبالشارع الشرقي نجد الغرابيلية(و4)،والنجارين(هـ و4-3)،والرقاقين (هـ3)،وعلى الشارع المحصور بين هذين الطريقين،وبمركز المنطقة التجارية نجد البرادعية(و4)،والخضارين(و4)،وصولا إلى سوق التجار(هـ4)،والجزارين (هـ4)، فالقصايعية(هـ4) والخراشفية(هـ4)،والفحامين(نحو هـ4)،ثم سوق قهوة الذبان (هـ4) [25].

لقد قامت وظيفة العمارة على تلبية ثلاثة أصناف من الحاجة: النفعية، والرمزية، والجمالية أي الخصوصية التناسقية والتراتبية حسب عرف المكان

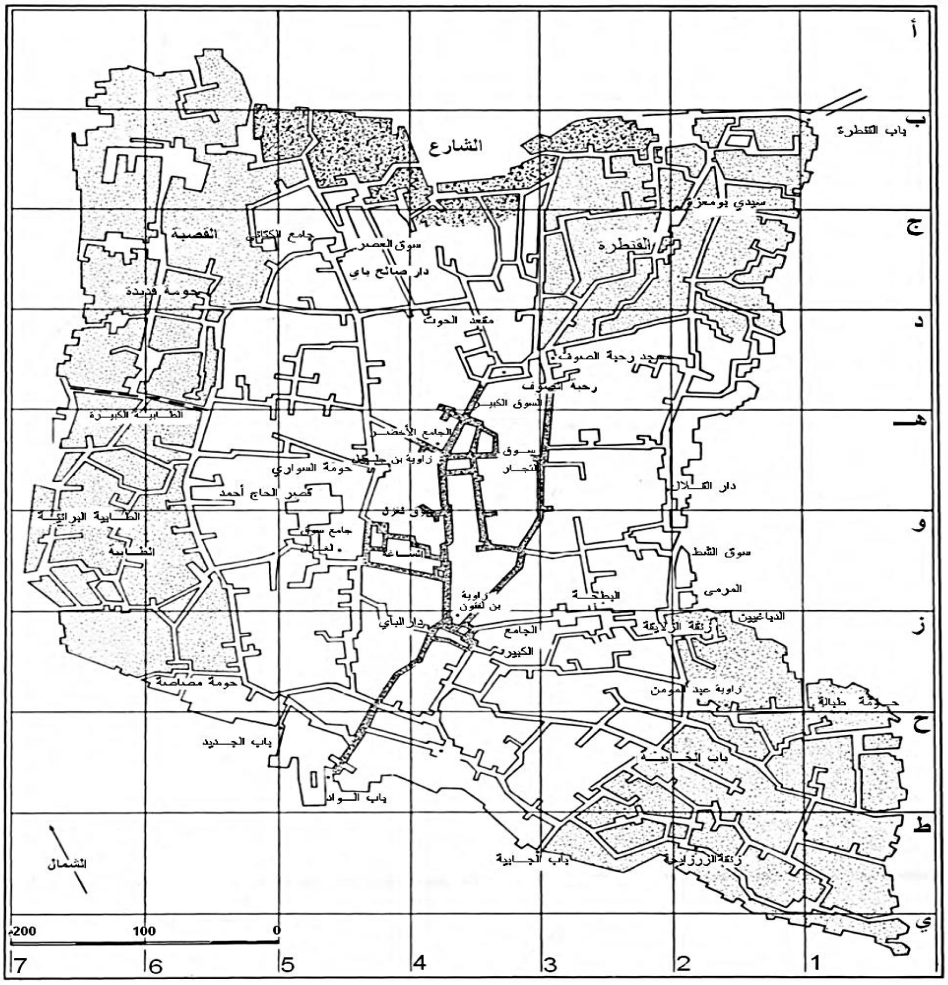

— عن: أندري ريمون بتصرف —

مخطط مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية

والزمان، ما دام ذلك محمودا في غاياته ومنافعه للناس أجمعين، وعليه فإن قوام فقه العمران يعني مجموعة من القواعد التي ترتبت على حركية العمران، والتي تنظمه عن طريق أنماط ترتب التكوين الشكلي، وفق نسب

وإيقاع وتماثل وتوازن وتغاير وتباين، وغيرها من مقومات التكوين البصري، ومفردات لغة التشكيل المعماري.

وقد ساهم صالح باي بصورة فعالة في حركية عمران مدينة قسنطينة بتطويره للمنطقة التجارية والحرفية عبر الإنشاءات التي أقامها بالقرب من سوق العصر؛وسوق الشط الواقع على الطرف الشرقي للمدينة(و2)،في حين احتلت منطقة سوق التجار الجزء الأوسط من هذه المنطقة التجارية(هـ4)،وبها فندقين: فندق بن نويوة (ز4) بشارع بيرود(Béraud) خلف مصلحة المناجم،وفندق الحفصي أو الزيت الذي هدم عند فتح الطريق الوطني(الطريق الجديدة)، قبالة مصلحة المناجم، ويشرد عن هذه المركزية سوق الجمعة المنشأ شمال المدينة (ج5)،حيث يتواجد فندق قيسارلي(ج5) الذي تحتل موقعه جزئيا المحكمة الابتدائية، بسوق العصر [26].

كل تلك الأعمال والمنجزات بالمدينة حرص صاحبها ألا يؤلف تنوعها العمراني فوضى بصرية، ذلك أن أبسط المنشآت تولد تعبيرا بصريا بالنسبة لمن يستعملها أو ينظر إليها، وهذا التعبير متغير يمكنه أن يتخذ صيغا وأشكالا مختلفة تبعا لعدة جوانب ترتبط بالوسائل التنفيذية وبعض القيم الفنية المتوازية في أي زمان ومكان، وبالتالي فإن تكييف هذا الفضاء المحصور ممثلا في العمارة لأداء وظيفة عملية وجمالية لصالح الإنسان وحياته في مناخ وبيئة معينة هي الوظيفة المنوطة به.

وقد كانت المنطقة التجارة محاطة شمالا وجنوبا برحبات تستقر بها في العادة تجارة المنتجات الريفية، فرحبة الجمال تقع مباشرة جوار مدخل المدينة بباب الواد (ح4)، بينما كانت رحبة الصوف (د4) تقع وسط منطقة البنايات، ودون شك أن توسع المدينة شمالا منذ القرن 18م قد وضع حدا لموقع كان يبدو متطرفا سابقا، ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لمقعد الحوت (د4)، الذي كان يحتل هو كذلك موقعا متطرفا قبل أن تتوسع

المدينة ناحية الشمال، في حين توزعت بعضا من السويقات وسط الأحياء السكنية: كسويقة بن المقاليف بحي الطابية في (هـ6)، وسويقة باب الجابية (ح3) [27]، كما شيد صالح باي صفا كاملا من المتاجر، والفنادق خارج أسوار المدينة خلف الباب الجديد حتى سفح الكودية [28].

كما كانت التربيعات زينة المشهد البصري للمدينة باعتبارها المؤسسات الاقتصادية المصغرة الأكثر نشاطا، وكانت نوعا من الفنادق مربعة الشكل بطابق واحد تمركزت فيها حرفة بعينها كالنساجين أو ما كان يعرف بتربيعات الحواكة، وتوزعت هذه المؤسسات في بيوت معزولة بين المنطقة الصناعية المتطرفة، والمنطقة التجارية لما كانت تقوم به من تحويل للمواد نصف المصنعة إلى مواد قابلة للتسويق، وقد انتشرت تربيعة بن الشريف بالرصيف، وتربيعة سيدي قسوم برحبة الصوف، وتربيعة رحبة الجمال بالرحبة، وتربيعة بن قانة، وتربيعة الماجن، وتربيعة بن عزيم بالشط، وتطرفت تربيعة بن الجزار بحي سيدي بومعزة، في حين توزعت أفران الخبز في كنف الأحياء السكنية وقريبا منها [29].

أما النشاطات الصناعية المسببة للضرر كالضوضاء والملوثة للهواء فقد احتلت مواقع متطرفة بالقرب من الأسوار أو خارجها أحيانا، فتمركزت دار الدباغة على حافة الهاوية المطلة على وادي الرمال، مما يسمح لها بتصريف المياه المستعملة في الدباغة بسهولة، وتفادي الإزعاجات التي قد يسببها حتما هذا النشاط للأحياء المجاورة؛ وحشدت حفر الدباغة على المنحدر الضيق في الفضاء المحصور بين حيطان المنازل والوادي، ونفس الشيء بالنسبة لدار القلال التي كانت مخصصة لصناعة الأواني الفخارية حيث اتجاه الرياح المسيطرة يطرد الروائح الكريهة والدخان خارج المدينة، وأفران الجير (المسماة أفران بيرو) حددت مواقعها، عند الحدود الجنوبية لحي القنطرة (د2)، وبنفس الحي أقيمت أفران الجبس، عند مدخل شارع فارنا (Varna) على

الحدود الغربية (ج4)، كما كانت تقوم بالقرب من الأسوار وعند مداخل المدينة معاصر الزيت حيث مخازن الزيتون مصدر المواد الأولية، كما أن وضعها هذا يساهم في التقليل من الحركة داخل المدينة [30].

ويرتبط توقيع المنطقة المخصصة للصناعة بالوضع الطبوغرافي للمدينة، حيث أن الكتابات التاريخية تتحدث عن تركز المدابغ وورشات تصنيع الجلد والنسيج، على مشارف الجروف العميقة (جنوب غرب المدينة)، على مقربة من الوادي حيث تستعمل المياه كقوة محركة أو للغسيل وصرف النفايات، وعلى مقربة أيضا من النواة المركزية حيث الورشات الحرفية والأسواق لتصريف الإنتاج.

وأخيرا نؤكد أن الأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة تأتي من وجود الهيئة الإدارية ممثلة في قايد الباب بمدخل باب الواد (قرب المسرح الجهوي لقسنطينة اليوم) للنظر في المنح والرسوم الجمركية على السلع والبضائع التي تدخل المدينة حيث يقف بمعية مساعده الخوجة بمحل عند بداية الطريق التجاري، ويحرس إثنين من الوكلاء كلا من باب الجابية، وباب القنطرة [31].

رابعا. مكونات الصورة البصرية للمدينة

تستمر هوية العمارة باستمرار هوية الأمة،وتتطور بتطويرها وتنهض بنهوضها،وتتفكك بتفككها،وتتجلى هذه الهوية من خلال وحدة اللغة والثقافة والعقائد،وتنعكس على العمارة والفنون والتراث،فالعمارة لغة مجسدة تحمل دلالات روحية ومادية تقوم بوظيفة إنسانية اجتماعية بأساليب مختلفة شأنها في ذلك شأن اللغة التي تحمل دلالات مماثلة وتقوم بوظيفة إنسانية حضارية،وقد تدخلت الإدارة الفرنسية في الشكل المعماري والعمراني لمدينة قسنطينة مما أثر سلبا على النسق العمراني للمدينة، ضنا منها أنها تحمل إليها محاسن وفوائد الحضارة الفرنسية[32]،وقد أثر هذا على المشهد البصري

للمدينة وإن جمَّلوا بحسب ضنهم جانبها المادي فقد أفقدوا المدينة دلالاتها الروحية مما أثر على العناصر الثابتة في صورتها البصرية،وجعلها تتكلم لغة هجينة.

فقد تميزت مدينة قسنطينة بشوارعها الضيقة والملتفة والمعزولة بواسطة الطرق الخاصة غير النافذة التي كانت تعرف بالزنقة؛ حيث ترك حرية تخطيطها وتحديد مقاييسها لأصحاب الاقطاعات أو الخطط كونها مشتركة الملكية لأصحاب الدور المحيطة بها، ولهم حرية الارتفاق بها دون غيرهم باعتبارها ملكية خاصة لذلك لم يكن للسلطة في المدينة حق التدخل في شؤونها إلا إذا طلب ذلك أحد من أصحابها، وعندئذ يتدخل القضاء لحل ما يمكن أن يحدث من مشكلات.

وقد تميزت هذه الزنقات بالوحدة في مضمونها والتنوع في أشكالها فأطوالها تتراوح بين 15إلى50م وتصل أحيانا70م، ومن خصوصياتها أنها تعرف باسم المالك الرئيسي للمنزل المجاورة له أو العائلة التي تجاورها كونها تشمل أحيانا عدة دور لعائلة واحدة، كزنقة بوخبزة، وزنقة بن الشريف مثلا أو باسم المسجد المجاورة له كزنقة سيدي عفان؛ كما يمكن لنفس الشارع في امتداده أن يحمل مجموعة من التسميات المختلفة.

وكان مشهدها الفزيائي البصري يختلف من جهة لأخرى فهي تارة مستقيمة وتارة أخرى معقوفة أو مزواة وأحيانا متصالبة [(33)]، وقد تنتهي الطريق الخاصة إلى عرصة صغيرة -ساحة صغيرة- تفتح على بابين أو أكثر للدور المحيطة بالساحة، وحتى مفترقات الطرق الصغيرة كانت تحمل تسميات بعينها: ككوشة الزيات، والشط، والحارة الحمراء...إلخ [(34)].

ولما كانت شبكة الطرق الرئيسية الداخلية للمدينة المخصصة لأغراض المشاة والحيوان والعربات تتشابه إلى حد ما مع الوضع التخطيطي الروماني السابق، فقد كانت تصل بين أبوابها الرئيسية وتتقاطع عند النواة المركزية (ساحة البطحاء حاليا)؛ إلا أنها نمت في عدة مراحل راسمة شكلا متشعبا

تربيعة رحبة الجمال

حي الحدادين

لشوارع التجارة والصناعات الحرفية، وكانت أوسع هذه الشوارع تسمح بتقاطع جملين بكل حمولتهما؛ وعزلت شوارع التسوق بالأسواق حيث يتجمع أصحاب الحرف سعيا بشغف وراء مواطن الظل، وفي الأماكن التي يتضاعف فيها عدد السباطات تفاديا للشوارع المستقيمة الدائمة التعرض لأشعة الشمس، كما أنه لا وجود للأرصفة، وكانت متاهات الشوارع تزداد تعقيدا كلما اتجهنا نحو الطرق الخاصة المعروفة بالزنقات لما لها من وظيفة الحماية من الانتهاك البصري للخصوصية (الحرمة)، فكلما اتجهنا نحو المناطق السكنية كلما زادت الخصوصية، وظهرت الزنقات أي الطرقات غير النافذة.

إن هذه الميزة جعلت المدينة شبيهة بمدينة دمشق من حيث توزيع الشوارع وترتيبها، وإن كانت هذه الظاهرة سائدة في جميع المدن الإسلامية تقريبا، وقد كانت شوارع المدينة الرئيسية تنحدر نحو الأبواب : نحو باب الجابية، وباب الواد جنوبا، ونحو باب القنطرة شمالا [35]، ويتفرع عنها شوارع ثانوية أي أزقة، ويتفرع عن هذه الأخيرة طرق خاصة غير نافذة تنتهي إلى الأبواب التي تفتح عليها مداخل المنازل، وبالتالي فإن كل بيت رتب على هذه الهيئة لا يتعرض منه إلى الانتهاك البصري على مستوى الشارع سوى الواجهة الخلفية الخالية من أي فتحة، وبفضل هذه السلسلة من الحوائل والحواجز مضاف لها التضامن الذي يبديه أهل الحي الواحد يتوفر الأمن والأمان بالحي.

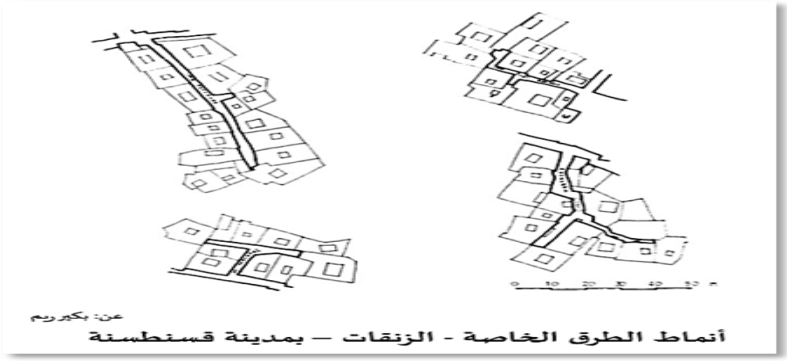
عن: بكير ريم
أنماط الطرق الخاصة - الزنقات – بمدينة قسنطينة

حي الخيـاطين

حي الدباغين

1. حدود الأجزاء والوحدات

لقد كان المشهد البصري لمدينة قسنطينة عند نشأتها في الفترة الإسلامية شبيها بالمدن الإسلامية الأولى، فكانت مشكلة من نواة مركزية حولها سلسلة من الأسوار، ومجهزة ببابين رئيسيين هما باب ميلة (القنطرة) وبابا الواد، وكانت هذه الأسوار تحدد بصفة دقيقة حدود عمران المدينة، وبينها وبين النواة المركزية منطقة تختلف من حيث الأهمية والمحتوى، وعليه فقد شبه بعضهم مخطط المدينة بمخطط المدينة الرومانية، مع إدخال بعض التغييرات التي تتطلبها الحياة الإسلامية.

غير أن أهم العلامات المكانية المميزة للمدينة في هذه الفترة كانت النواة المركزية المكونة من المسجد والسوق اللذين يشكلان إلى جانب دار الحاكم عصب المدينة، وهي صفات مميزة لكل المدن الإسلامية، إذ تعد هذه النواة المركز الحيوي للمدينة حيث تنتشر حول الجامع الكبير عدد من الدكاكين،

والمحال التجارية التي تقوم على ساحات جميلة، ومنظمة تبعا لأنواع الحرف والبضائع، ومنها الصاغة والعطارون والدباغون وغيرهم، وقد عرفت المحلات والدكاكين تطورا مهما في العهد العثماني بدخول المخابز بطرازها الحديث في المكونات البصرية للعلامات المكانية بمعالم المدينة.

كما كانت العمارة العسكرية من العناصر المكانية الحاضرة بقوة في المشهد البصري لمدينة قسنطينة ممثلة في ثلاث ثكنات رئيسية:

- أولا: ثكنة القصبة شمالا، والتي كانت تمثل في المخطط الروماني مكان المعبد حيث بنى الموحدون فوق أنقاضه قصر الحكم، وكانت بأسوارها تعطي " شكل المدينة الصغيرة داخل المدينة الكبيرة، لها باب واحد، ولها شوارعها وساحاتها الداخلية ومسجدها الذي يصلي به الأمير وأعوانه ووجهاء المدينة صلاة الجمعة والأعياد [36].

- ثانيا: دار الإنكشارية المسماة عند الفرنسيس "ثكنة الإنكشارية"، وكانت هذه الأخيرة عبارة عن بناية جميلة تنتظم حول فناء مركزي، تحيط به أروقة واسعة محمولة على أعمدة ذات تيجان رومانية، هدمت وهدمت كذلك المساجد الصغيرة والمساكن المحيطة بها، لإفساح المجال لبناء المسرح سنة 1883م - المسرح البلدي اليوم -، وسوق الخضر [37].

-ثالثا:الدرب–القص–أو دار الباي بوسط المدينة على حافة ساحة أول نوفمبر اليوم(ساحة لابريش) والتي حولت إلى مخزن للشعير قبل هدمها، وذكر الضابط الفرنسي هيبوليت لما زار المدينة:"أن المساجد كانت جميلة ومزينة بالرخام الجيد،والثكنات كبيرة،والأسواق رحبة،والمخازن ضخمة، وهناك قصر الباي الواقع في قلب المدينة تتوسطه شجرة السرو الضخمة التي هي بمثابة سارية العلم،وهو يتميز بقرميده الأخضر وببيوته الكبيرة المتصلة بعضها ببعض.

كما تذكر تقارير الحملة الفرنسية أنه كان بالمدينة الكثير من مخازن الحبوب والأصواف والزيوت، وأن مطاحن القمح تقع على ضفة وادي الرمال، وأن حطب التسخين وخاصة خشب البناء كان نادرا جدا، وهذا ما جعل السكان يستعملون الفحم في أغراضهم كما يذكرون وجود عدد من مصانع الأسلحة والبارود المصنوع من الملح المتوفر بالمغاور القريبة من المدينة، ولقلة صهاريج المياه بالمدينة كان السكان يتزودون بالماء من الوادي، الذي يمكن الوصول إليه عبر ممر خارج أسوار باب الجابية، وهناك العديد من المجاري والعيون المتوفرة في الجهات القريبة من قسنطينة [38].

يضاف إلى كل هذا مجموع الدور التي كانت تقطنها الطبقة الحاكمة كدار الأمين خوجة (ب6)، ودار إبراهيم خوجة (د5)، ودار إنچليز باي (ج4)، أو العائلات الكبرى التي كانت تنتمي لصنف علماء مدينة قسنطينة كدار بن الفقون (نحو ز4)، ودار بن المفتي (د2).

2. نقاط الانتقال والالتقاء

كانت نقاط الاتصال بمدينة قسنطينة تتم عبر ساحات عمومية عديدة تطلق عليها أسماء متميزة،وهي عادة ما تضم مسجدا وسوقا ومحلات الحرف والإدارة،وترتبط أقسامها الأربعة التي تشكل في الواقع وحدات قائمة بذاتها ليس لها حدود واضحة بل تتداخل في بعضها بشبكة من الشوارع الضيقة والمتعرجة،كما يخترق المدينة عدد كبير من الشوارع الثانوية المستعرضة التي تصل بين الأحياء الرئيسية الأربعة من الغرب إلى الشرق[39]، وجهزت المدينة بحوالي21ما بين ساباط وقوس كسباط القوس،يضاف لها مجموع العرصات،وهي الساحات والرحبات المتفاوتة المساحة كرحبة الزرع ورحبة الجمال،وسوق العصر.

لقد ضمت المدينة ضمن سور قديم يزيد علوه عن الثلاثين مترا، نفذت فيه ثلاثة أبواب في صف واحد بالناحية الجنوبية الغربية منه يبعد الواحد

منها عن الأخر بحوالي 200 خطوة، ويقع في الناحية الغربية باب الرحبة الذي تنتهي إليه طريق الجزائر، ومنذ 1836 أصبح القسنطنيون يطلقون عليه اسم الباب الجديد لأنه كان في السابق بابا بسيطا، ولكنه قوّس الآن - أي زمن الكاتب - بقوس وباب، وقربه بطارية تحتوي على خمسة مدافع، وكانت دكاكين الحديد تقع خارج هذا الباب [40].

وأطلق على الباب الأوسط المؤدي إلى الجنوب بباب الوادي، أما الباب الشرقي الذي يدخل الواد منه فهو باب الجابية، وهو متصل بوادي الرمال، وبين هذه الأبواب تنتصب بطاريات المدافع المجهزة بأربعين مدفعا على منحدر كدية عاتي المواجهة للمدينة، ويقع باب القنطرة وهو الباب الرابع شرق المدينة حيث تنتهي إليه الطريق الآتية من الجهات الساحلية والشرقية لإقليم قسنطينة، وهو مقام قبالة جسر فوق هوة الوادي يصل بين حافتي الانفلاق الذي يفصل المدينة عن جبل المنصورة، ونفذ هذا الجسر القوي من الحجر قوامه ثلاثة أقواس، يقال إن الاسبان قد بنوه قبل مدة طويلة، وتم تحصين هذا الباب بستة مدافع [41].

3. المناطق والأحيـاء

بحسب المؤرخين فإن مدينة قسنطينة قسمت في العهد العثماني إلى أربعة أقسام مميزة كمناطق رئيسية، وهي القصبة، الحي العسكري في شمال شرق المدينة المحصور بين الأسوار، وباب القنطرة والباب الجديد فوق الصخور المطلة على الجزء الأكبر من المدينة بارتفاع 631 م فوق سطح البحر، وبحوالي 100م فوق أعماق الوادي في انحدار رأسي سحيق، وهذه القلعة الصغيرة المحصنة كانت عبارة عن بناء قديم أعادت الحامية التركية استعماله كثكنة.

إضافة إلى حي الطابية الحي الرسمي الذي يضم القصر والمسجد الرئيسي في الشمال الغربي للمدينة، ثم حي القنطرة وهو الحي السكني الذي تتركز فيه

دار الإنكشاري سنة 1837

سنة 1883 احتل المسرح موقع دار الإنكشارية

حي القنطرة وحي باب الجابية
يعد حي الجابية الحي الوحيد الذي بقي عمرانه أصيلا لم تتدخل الإدارة الفرنسية في تصميمه شق الطريق الوطني
(الطريق الجديدة – شارع العربي بن مهيدي)

حي القصبة وحي الطابية
أعادت الإدارة الفرنسية تصميم شوارعه وهدم معظم المساجد والعمائر بالحي وعوضتها ببنايات على النمط الأوروبي أو أنها أدخلت تحويرات على العمارة المحلية لتصبح عمارة هجينة

كما قسمت هذه الأحياء بدورها إلى العديد من الحومات أو الزنقات، وهي أحياء صغيرة رتبت على نمط الأحياء الكبرى نذكر منها: الطابية البرانية – الطابية الكبيرة – حومة الموقف – حومة المصاصة، حومة السواري – سيدي راشد– بير المناحل – البطحة – الشط – حومة الطبالة – كوشة الزيات – الشارع (حارة اليهود) – الحارة الحمراء – حومة سيدي بومعزة – حومة سيدي جليس، محلة العمامرة، وقسمت هذه الأخيرة إلى وحدات أقل. ويتواصل المشهد البصري للمدينة خارج الأبواب الثلاثة من الناحية

الجنوبية الغربية حيث توجد ضاحية قليلة الاتساع يسكنها الصناع، وتقام فيها الأسواق، وعلى بعد منها اصطبلات الباي مع بعض المساكن المتفرقة، وبجوارها بعض الأضرحة والبساتين المحاطة بالسياجات والأسوار الصغيرة، وباقي التحصينات المتكونة من أسوار قديمة بالية تستند إليها المنازل، وإن كانت كثيرا ما تتجاوز هذه المنازل في علوها، وكذلك الحصون المقامة على هضبتي المنصورة، وكودية عاتي [43].

خامسا. الخاتمة

ذكر صاحب العقد الفريد أن: البلاغة في اللغة تكون على أربعة أوجه: باللفظ والخط والإشارة والدلالة،وكل منها له حظ من البلاغة والبيان وموضع لا يجوز فيه غيره ... ورب إشارة أبلغ من لفظ[44]أما الإيقاع فهو تآلف الحروف في الكلمات، وتتناسق الكلمات في الجمل وتوزيعها داخل التركيب بمسافات تؤدي إلى إحداث تنغيمات وأصوات مؤثرة،وقد عرفت لغة العمران بمدينة قسنطينة البلاغة المعمارية،بعد أن تآلفت الوحدات المعمارية في الحومات،وتناسقت الحومات في الأحياء الرئيسية،وتوزعت ضمن التراكيب العمرانية للمدينة عبر مسارات تآلفت فيها الدروب الخاصة في الأزقة،وتناسقت الأزقة في الشوارع الرئيسية الموزعة بين الأحياء السكنية ووسط مساحة واسعة لا تحمل أي تسمية عامة، ولكن تحمل مجموعة من التسميات الخاصة،وهي المنطقة المخصصة للتجارة والحرف،ومقر كبار مسؤولي الإدارة في المدينة،مشكلة بذلك الصياغة اللغوية للعمارة القسنطينة،وفق ايقاعات جمالية توحدت فيه الوظيفة بالهدف،وانسجم فيها الشكل المعماري بالمضمون الوظيفي مما أضفى عليها تناغما وظيفيا أنتج تنغيما صوتيا متوافقا مع خصوصيات البيئة المحلية أثَّر في ساكني المدينة وزائريها.

وقد سخرت عمائر المدينة وفضاءاتها لتحقيق المتطلبات الوظيفية والحاجة ضمن نسيجها العمراني، وذم التفاخر بالتطاول في البنيان وكثرة الزخارف، وهو إشارة ودلالة، ولغة تواصل، فالفضاء عبارة عن كلمات

وعبارات لغوية تحدثنا عن الحياة والوجود، وتاريخ العمارة ما هو إلا تاريخ تشكيل الإنسان لهذا الفضاء، فالخاصية الفضائية هي ما يميز العمارة عن باقي الفنون الأخرى [45]، وقد تتناسق وتنسجم فتتطور لتصبح شعرا وهو قمة البلاغة، وأعلى مظاهر التعبير اللغوي والتناغم المعماري.

إن انتظام المساكن على نسق موحد، وإضفاء الطابع المعماري الخاص عليها، ونظافة شوارعها، وانسجامها بتناغم في النسيج العمراني للمدينة، هو سمة تميز الفضاء المتولد عن القيم الدينية الإسلامية، وهو ما شهد به المؤرخ الفرنسي دو فوازان (Devoisins) في مذكراته حول احتلال قسنطينة قائلا: " أن نظافة كبيرة كانت تميز المنازل والشوارع، وقسنطينة ككل المدن الإسلامية تحمل طابعا معماريا متميزا ولونا محليا خاصا لا تستطيع المدن الأوروبية أن تضاهيه [46]".

وخلاصة نقول إنه إذا كانت الجمالية التشكيلية تعتمد على المنظور الروحاني في التصوير التمثيلي،أو على التجريد وإملاء الفراغ في الرقش العربي،فإن الجمالية المعمارية تقوم في مجملها على قواعد المقياس الإنساني، أي إبقاء العمارة خادمة لحاجات الإنسان وظروفه ومتطلباته الاجتماعية،أو ملبية لضرورات التكيف مع المناخ والبيئة الاجتماعية، فآيات التصوير في العمارة أصبحت عاملا عضويا لتحويل العمارة، من مجرد بناء فراغي إلى كتلة فنية اندمجت فيها الصيغ التشكيلية [47].

وقد أحدث التدخل الفرنسي في النسيج العمراني للمدينة تشويها عمرانيا وتلويثا بصريا قضى على النسق العمراني للمدينة، وأن أقسى ضربة تعرض لها هذا الفضاء هي دون شك عمل أخدود مواز لأخدود وادي الرمال، أو ما سمي بالطريق الوطني (الطريق الجديدة – شارع العربي بن مهيدي)، والذي يصل بين بوابة فالي وباب القنطرة أي بين سوق الزرع برحبة البلد ومحطة القطار اليوم.

سادسا: الهوامش

1- شهاب الدين أحمد بن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق 1996، ص 8.

2- نفس المصدر، ص 106.

3- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص 66.

4 بديع العابد، الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو1431هـ/ 2010 م، ص 37.

5 أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص ص 161 – 162.

6 - ابن خلدون، المقدمة، جـ1، ص 193.

7- Leonardo Benevolo, histoire de la ville, tra : Catherine Peyre, éd Parenthèses, 1983, p 153.

8 - ابن أبي زرع (ت:741هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، 1973، ص 33.

9 - Rozet Et Carette, L'Algérie, Imprimeurs De L'institut, Rue Jacob, 56, Paris 1850, p 108.

10 - Mercier (E), histoire De Constantine, J. Marle et f. Biron, imprimeurs-éditeurs 51, rue Damrémont 51, Constantine 1903, p 326.

- 11 الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص 81.

12 - Archives National, Centre d'Aix-en Provence F 80/81 Provence de Constantine.

نقلا عن: محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني، وعبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب 2007، ص 88.

13 - Raymond (A), " Les Caractéristiques d'Une ville arabe « moyenne » au *XVIII* ^{è} siècle. Le cas de Constantine ", in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N° 44, 1987, p 138.

(14)احمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة 2011، ص 138.

(15) أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 136.

16 -TEMIMI (A), Le Beylik de Constantine et hadj Ahmed bey (1830-1837), publication de La Revue d'histoire Maghrébine, Vol1,TUNIS,1978, p 57.

17- شهاب الدين أحمد بن الربيع، المصدر السابق، ص 107.

18- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع 128، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، أوت 1988، ص ص 211- 212.

19 - خالد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، الدوحة 1997، ص ص 103 – 104.

20 - MEGNAOUA CHERIF, "Le Registre du Caïd el Bled de Constantine", in Revue S.A.H.G.P.C, vol. 59, (1928 – 1929) , p 6.

21 - خالد مصطفى عزب، نفس المرجع، ص 102.

22 - أنظر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 – 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1984، ص 62. وكذلك:

- MINISTERE DE LA GUERRE, Tableau de la situation des établissements Français dans L'Algérie en 1840, Imp. ROYALE, Paris 1841, pp 365 – 366.

23 حيدر جاسم عيسى الساعدي، نظرية الفعل المعماري، في مجلة الهندسة والتنمية، المجلد 12، العدد 4، كلية الهندسة، الجامعة المستنصرية 2008، ص ص 31 – 32.

24 - MEGNAOUA CHERIF, Op. Cit., p 8.

25 - RAYMOND (A), Op. Cit., p 140.

26 - MERCIER (E), CONSTANTINE…, p 71. Et RAYMOND (A), Op. Cit., p 140.

27 - RAYMOND (A), Op. Cit., p 140.

28 - MERCIER (E), Histoire De Constantine, p 298.

29 - RAYMOND (A), Op. Cit., p 141.

- 30 محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية المدن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1948، ص ص 76 – 78. وكذلك:

- MERCIER (E), Constantine…, p 75. Et RAYMOND (A), Op. Cit., p 141.

31 - RAYMOND (A), Op. Cit., p 139.

32 - J. CHIVE et A. BERTHIER, L'évolution Urbaine de Constantine 1837–1937, in Constantine: son passé, son centenaire (1837–1937), Recueil Des Notices Et Mémoires De La Société Archéologique De Constantine, Vol. LXIV, éd. BRAHAM, Constantine 1937, p 477.

33 - BAKIRI RYM, Impact De L'intervention Coloniale Sur La Vieille Ville De Constantine, Cas Des Maisons Hybrides, mémoire pour l'obtention du diplôme de magistère option : préservation du patrimoine architectural, 2011, p 85.

34 - MERCIER (E), CONSTANTINE…, p 48.

35 - J. CHIVE et A. BERTHIER, Op. Cit., pp 476 – 477.

- 36 محمد الهادي العروق، نفس المرجع، ص ص 76 - 78.

37- BAKIRI RYM, Op. Cit., p 87. Et : MERCIER (E), Constantine…, p 55.

38 محمد الهادي العروق، نفس المرجع، ص ص 85 – 86.

39 - MERCIER (E), Constantine…, p 48.

40 - فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1837، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص 57.

(41) فندلين شلوصر، نفس المصدر، ص 73.

42 - MERCIER (E), Constantine Avant la conquête Française 1837, in revue de S.A.H.G.P.C, Vol. 19, 1878, pp 47 – 48.

43 - محمد الهادي العروق، نفس المرجع، ص 83. وكذلك: BAKIRI RYM, Op. Cit., p 87.

44-ابن عبد ربه الأندلسي،العقد الفريد،ج1،ص175وكذلك:النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب،ت: مفيد قمحية وجماعة،دار الكتب العلمية،ط1،ج7،بيروت،2004 م، ص 10.

45 - اسماعيل شوقي، الفن والتصميم، جامعة حلوان، مصر 1998، ص 202.

46 - الهادي العروق، نفس الرجع، ص 58.

47 - عفيف البهنسي، الجمالية الفنية في مفردات العمارة الإسلامية، في عالم الفكر، مجلد 34، ع 4، أبريل – يونيو 2006، ص 40.

سابعا. قائمة المصادر والمراجع

أ - المصادر والمراجع : 1 . باللغة العربية

1 – احمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة 2011.

2- الماوردي،تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك، تحقيق : محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت 1981.

3-ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار إحياء التراث العربي، ط4، ج 1، بيروت دت.

4 -ابن أبى زرع (ت:741هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور والوراقة، الرباط 1972.

5أحمد توفيق المدني،محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1986.

6 - اسماعيل شوقي، الفن والتصميم، جامعة حلوان، مصر 1998.

7 - بديع العابد، الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو1431هـ/ 2010 م.

8خالد مصطفى عزب،تخطيط وعمارة المدن الإسلامية،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، الدوحة 1997.

9 - شهاب الدين أحمد بن الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق 1996.

10 عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000.

11-فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832 – 1837، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر 2007.

12 - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 – 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر 1984.

13 - محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، ع 128، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، أوت 1988.

14 - محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية المدن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1948.

15 - محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني، وعبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب 2007.

16 - النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، ط 1، ج 7، بيروت 2004م.

2. باللغة الفرنسية

1 - BAKIRI RYM, Impact De L'intervention Coloniale Sur La Vieille Ville De Constantine, Cas Des Maisons Hybrides, mémoire pour l'obtention du diplôme de magistère option : préservation du patrimoine architectural, 2011.

-2 MERCIER (E), Histoire De Constantine, J. Marle Et F. Biron, Imprimeurs-Editeurs 51, Rue Damrémont 51, Constantine 1903.

3 - ROZET Et CARETTE, L'Algérie, Imprimeurs De L'institut, Rue Jacob,56, Paris 1850.

4- LEONARDO BENEVOLO, Histoire De La Ville, Tra : Catherine Peyre, Ed Parenthèses, Marseille 1983.

- MINISTERE DE LA GUERRE, Tableau De La Situation Des Etablissements Français Dans L'Algérie En 1840, Imp. ROYALE, Paris 1841.

5 -TEMIMI (A), Le Beylik de Constantine et hadj Ahmed bey (1830-1837), publication de La Revue d'histoire Maghrébine, Vol1,TUNIS,1978.

ب - المقـالات :1 . باللغة العربية

1- حيدر جاسم عيسى الساعدي، نظرية الفعل المعماري، في مجلة الهندسة والتنمية، المجلد 12، العدد 4، كلية الهندسة، الجامعة المستنصرية 2008، ص ص 22 – 39.

2-عفيف البهنسي، الجمالية الفنية في مفردات العمارة الإسلامية، في عالم الفكر، مجلد 34،ع 4، أبريل–يونيو 2006، ص ص 37–45.

2. باللغة الفرنسية

1 - J. CHIVE et A. BERTHIER, L'évolution Urbaine de Constantine 1837–1937, in Constantine : son passé, son centenaire (1837–1937), RECUEIL DES NOTICES ET MEMOIRES DE LA SOCIETE ARCHEOLOGIQUE DE CONSTANTINE, Vol. LXIV, éd. BRAHAM, CONSTANTINE 1937, pp 437 – 490.

2 - MERCIER (E), Constantine Avant La Conquête Française 1837, In Revue de S.A.H.G.P.C, Vol. 19, 1878, pp 43 – 96.

3 - MEGNAOUA CHERIF, "Le Registre Du Caïd El Bled De Constantine", In Revue S.A.H.G.P.C, vol. 59, (1928 – 1929), pp 01 – 29.

4 - RAYMOND (A), " Les Caractéristiques d'Une Ville Arabe « Moyenne » Au *XVIII* è Siècle. Le Cas De Constantine ", In Revue De l'Occident Musulman et de la Méditerranée, N° 44, 1987, pp 134 - 147.

ج - مواقع إلكترونيـة

1 - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com.

2 - الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، موقع الوراق،http://www.alwarraq.com